



يعدو عدد من الأطفال خلف الكرة وهم يلعبون كرة القدم في ملعب يقع في شريط عازل على بعد ثلاثة مبان من خط الجبهة في حلب، كبرى مدن شمال سوريا، بعدما حرموا النزاع الدائر مما تبقى من حياتهم الطبيعية. في باحة مدرسة دمرت جراء المعارك اليومية الدائرة في المدينة، يتقاول هؤلاء الأطفال الكرة من دون اكتراث لقناصة قوات نظام الرئيس بشار الأسد أو المقاتلين المعارضين له.

وفي الأحياء الشعبية من المدينة، لم يعد مستغربا الوقوع على أولاد يعملون في سن صغيرة. ويقول أحد قادة المقاتلين المعارضين في المدينة إن الأطفال "نسوا معنى الحياة الطبيعية، وصغار السن منهم لم يعرفوا معنى هذه الحياة أساسا". ويضيف "مثالهم الأعلى هم المتطرفون الذين يفجرون أنفسهم".

هنا وهناك في الشوارع، يبيع أولاد صغار السجائر أو قطع الحلوى بالعسل إلى مقاتلين يحملون أسلحتهم بالقرب من شاحنات صغيرة وضعت عليها رشاشات ثقيلة.

وفي ظل هذه الأجواء أضحي الأطفال "خبراء" في الأسلحة، ويات في إمكانهم التمييز لدى دوي صوت انفجار، بين ما إذا كان ناجما عن قذيفة صاروخية أو هاون أو قصف بالدبابات.

ويقول إبراهيم (11 عاما) "عندما نسمع هدير طائرة (حربية)، نركض إلى الأسطح لنشاهدها وهي تتصف". ويعقب الوالد الفخور بما قاله ابنه "أصبح رجلا في وقت مبكر"، في حين تتحسر والدة إبراهيم على أن "كل ما ينقصه هو العلم، لأنه لم يعد ثمة مدارس".

وتشير أرقام منظمة الأمم المتحدة للطفولة (يونيسيف) إلى أن مدرسة من كل خمس مدارس في سوريا تعرضت للتدمير جراء النزاع.

ويثير ذكر المدارس سخرية الأطفال العاملين كباعة متوجلين في حلب. ويسأل أحمد (12 عاما) "أي مدرسة؟ كل مدارسنا سحقت تحت القذائف. لم نعد نرتادها منذ أكثر من عام".

ويقول مقاتل ترك زوجته وأولاده في قريته في شمال البلاد ليذهب إلى الجبهة "نحن نجاهد على الجبهة. لكن النساء يقمن

بالجهاد الأكبر لأنهن يتحملن مسؤولية تربية الأجيال المقبلة، مستقبل سوريا".

وبحسب أرقام اليونيسيف، يعاني ملليون طفل من آثار الأزمة السورية، وهم مهددون بأن يصبحوا "جيلا ضائعا" في غياب المساعدة الدولية.

وتعاني غالبية هؤلاء من صدمات نفسية لرؤيتهم أفرادا في عائلاتهم وهم يقتلون، أو بسبب بعدهم عن ذويهم، أو بسبب الترهيب الدائم الذي يخترقونه بسبب القصف، بحسب المنظمة.

ففي ورشة لتصليح السيارات في حي المسلح الشعبي، ينكر يحيى (9 أعوام) على غطاء محرك سيارة، متأملا المبني المقابل. ويقول "هذه كانت مدرستي، وهي مغلقة منذ عام. منذ ذلك الحين، أعمل في تصليح السيارات". ويضيف "كان والدي على الجبهة يقاتل جنود الأسد. نحن 11 طفلا في المنزل، وغالبية أشقائي يعملون لتوفير الغذاء للعائلة".

ويعمل يحيى طوال اليوم في هذه الورشة مقابل 200 ليرة سورية (دولارين أمريكيين) أسبوعيا، قبل أن يعود إلى منزله ليلا لينام مباشرة. "عندما أعود إلى المنزل، لا يكون لدى الوقت أو القدرة على اللعب".

المصادر: